١٠- البيئة المحيطة

أخي المربي، لست وحدك من يربي، نعم، ابنك ليس سلمًا لك وإنما معك شركاء متشاكسون، فمن الأقارب والجيران إلى المدرسة والشارع، بل وقل التلفاز والإنترنت والألعاب، كل هذا له من التأثير في التربية نصيب.

وحين التأمل في واقعنا المعاصر والبيئة المحيطة، تجده لا يصلح لإعانة الآباء وترسيخ قواعد التربية الإسلامية عند الأبناء، نعم.. الكل يدفع عكسك!! وللأسف كثير من الآباء إما أن يعزل أبناءه عن الناس والأقارب والشارع، وإما أن ينزع يده ويقف موقف المتفرج على ولده وهو يستقي من هنا تارة ومن هناك تارة؛ فالبيئة المحيطة لها يد خفية ولو كرهنا، ولكن الجميع يتسائل... ما الحل؟!

ما هو الحل؟!

«إن تربية طفل واحد مسلم كتربية ألف طفل كتربية جميع الأطفال تحتاج إلى البيت المسلم والشارع المسلم والمدرسة المسلمة والمجتمع

المسلم»[1]، فهذا هو الحل، ولكن الحل غير متوافر الآن؛ فنحن الآن نعيش تناقضًا هائلًا بين المؤسسات التربوية وبين المربي «الأصل أن يتربى الإنسان تربية متكاملة، وأن تكون المؤسسات التربوية تؤدي دورًا متكاملًا؛ فالمدرسة والشارع والرفقة كلهم يسيرون في اتجاه غير متناقض، لكن واقعنا يعيش تناقضًا هائلًا بين المؤسسات التربوية وهذا يفرض على المربي تحديًا أكبر وجهدًا أعظم وسيبقى الجهد مهما بذلنا من الوسائل جهدًا محفوفًا بالمخاطر»[2]، فلو أن ألف رجل يبنون بناءً ووراءهم هادم واحد ما كان لهذا البناء أن تقوم له قائمة، فما بالك بالذي يبني وحده ووراءه ألف هادم؟!! ولكي لا نقف منزوعي الأيدي أمام الواقع الذي يفرض علينا نفسه يجب وضع حل لهذه المشكلة، وسنتكلم عنه وسنطرحه في ثلاث محاور:

١- الحماية الداخلية «التربية الإيمانية».

٢- الرقابة.

٣- استبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى.

---

(١) «منهج التربية الإسلامية» محمد قطب ص[٣٢٥].

(٢) «البيئة السيئة والشباب» محمد الدويش، موقع المربي.

١- الحماية الداخلية:

«واقعنا يعيش تناقضًا هائلًا بين المؤسسات التربوية وهذا يفرض على المربي تحديًا أكبر وجهدًا أعظم، وسيبقى الجهد مهما بذلنا من الوسائل جهدًا محفوفًا بالمخاطر... ومن أهم ما ينبغي مراعاته في ذلك؛ التركيز على البناء الداخلي والحصانة الداخلية التي تتمثل في الاعتناء بالتربية الإيمانية وتقوية الإرادة والجسم»[(١)].

فلابد من تقوية المناعة والحماية الإيمانية للأبناء، فهي تعين على ضبط النفس والسيطرة عليها، ومن الوسائل التي تعين على تقوية الحماية الداخلية[(٢)]:

١- يجب أن تكون مبكرة كما ذكرنا في أول البحث، ويجب أن تكون مستمرة خلال المعايشة وبطريقة لطيفة لا تعتمد على إلقاء المواضيع وفقط.

(١) «البيئة السيئة والشباب» عمر الدويش، موقع المربي.

(٢) «التربية في ظل المتغيرات» عمر الدويش، موقع المربي باختصار وتصرف.

٢- زرع العقيدة في قلب الولد وتثبيتها جيدًا عن طريق استشعار عظمة الله في قلبه من خلال التفكر في أسماء الله، ولو أدركت نفوسنا عظمة الله لعظم الافتقار إليه ولزادت الخشية منه، أيضًا زرع أحاديث النبي كحديث «اتق الله حيثما كنت...»، وأيضًا قصص الصحابة والدروس المستفادة منها كقصة كعب بن مالك.

٣- الاعتناء بالاقتناع: فالتوجيهات التربوية التي يتلقاها المتربون في مجتمعاتنا تعتمد على التوجيه المباشر وتعتمد على تلقين النتائج والأحكام، وهذا لو نجح مع جيل لا يتعامل إلا مع من يربيه فإنه لن ينجح مع جيل لا يعد المربي فيه على أحسن أحواله إلا واحدًا من العوامل المؤثرة على المربي، وهذا يتطلب مراجعة شاملة لمحتوى المواد التربوية ولأساليب تقديمها.

٤- تعريفه بواقع الإسلام وغربة أهله في وسط واقعنا المعاصر، فالمجتمع ينظر إلى الملتزم نظرة اتهام ورجعية؛ فتجد الابن إلا من رحم الله يحاول أن يتبرأ من تفكير أبيه، فقد رأيت من أبناء الملتزمين من ينفي التزام والده، ومنهم من يتهرب من السؤال...!!، فلابد أن يتعلم الأبناء الاستعلاء بالإيمان، وأن هذا الاستضعاف لا

يدوم كائنًا ما كان، وإعلامه بوعد الله في القرآن أن التمكين لعباد الله الصالحين، أيضًا إعلامه بحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يكون أحدكم إمعة...**» فهذا ينشئ عنده استقلالية ويجعله قائدًا لا مقودًا.

هذا ما كان في إيجاز توضيحًا عمليًا للتربية الإيمانية التي مثّلناها بالحماية الداخلية للأبناء، فالعقيدة هي الحل وإلا «كم سيكون من الصعب حمل ظمآن شديد الظمأ على عدم الشرب من ماء بارد أمامه! وكم ينبغي أن يكون ما سنعرضه عليه كبيرًا حتى يستجيب إلينا»[1] إذًا لا مفر من ربط القلب والعقل بالاعتقاد، فما أسهل المعاصي في هذا الزمن!!

٢- الرقابة:

وهذه الوقفة الثانية في العلاج، وهي تحتاج مجهودًا كبيرًا من الآباء تجاه الأبناء في التوجيه والمتابعة والمراقبة؛ خصوصًا في عصرنا هذا الذي يموج بالفتن والمغريات وسهولة ارتكاب المعاصي وما يصاحبه أيضًا من اقتلاع للثوابت وإحلال للقيم.

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[٢٢].

فكما قلنا من قبل أنك لست وحدك من يربي ولدك، فمعك من الشركاء الكثير ودعنا نبدأ بأول شريك ألا وهي:

التقنية: نعيش اليوم في سباق مع الزمن فما إن يظهر اختراع حتى يظهر في ذيله اختراعًا آخر، والتقنية أصبحت سلاحاذا حدين، وفي مجتمعاتنا؟؟؟ الشر له أوفى النصيب، فبضغطة زر واحدة يجد الطفل نفسه في قلب العالم!! «فوسائل الاتصال بأدواتها الجبارة، كل ذلك ألغى الحدود بين ما كنا نسميه داخل البلاد وخارجها...

العولمة تعولم الأشياء وتعولم الأفكار والتطلعات والأذواق والمعايير، وتعولم أيضًا المشكلات، وأنماط الانحطاط.

كنا في الماضي نربى في بيئات مغلقة نسبيًا، لكننا اليوم نربى وأبواب بيوتنا ونوافذها مشرعة على العالم من أقصاه إلى أقصاه، ولهذا بالطبع حسناته وسيئاته، ولكن إذا لم ننتبه، ونفهم ما يجري على نحو جيد، فقط تطغى السيئات على الحسنات»[(١)].

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[١٧].

فمن هذا المنطلق وجب على الوالدين تعلم ما هو جديد من أمور التقنية، وأعلم أن هذا أمر صعب ولكن انحراف الأبناء أمرًا أكثر صعوبة.

الكمبيوتر والنت: التأكد من وضع الجهاز في مكان يسهل مراقبته.

محو الأمية التكنولوجية بتعلم استخدام الكمبيوتر والنت؛ وذلك لكي تسهل مراقبة الأبناء ولسد مدخل الشيطان بجهل الوالدين.

العلم بمحتوى المادة الموجودة سواء كانت في أفلام الكارتون أو في الألعاب أو في المواقع، ومساعدة الأبناء في توفير الألعاب والمواقع التي تناسب احتياجاتهم.

عدم التساهل في انشغال الأبناء بالكمبيوتر لفترة طويلة، ووضع حد أقصى للجلوس أمامه.

المحمول: عدم شراء محمول للابن إلا للضرورة.

أن يكون غير مزود بتقنية تفتح عليه أبواب الشر.

obeikandl.com

مراجعة الأسماء والرسائل والسؤال عن أي رقم مسجل برمز مبهم، ومراعاة عدم غلق المحمول بكلمة سر.

ولكم أفسد أب قلب ابنه الطاهر بسبب شراء المحمول، ولكم سمعت عن علاقات عاطفية بين أبناء وبنات تقشعر لها الأبدان، وكم علمت عن أبناء في المرحلة الابتدائية والإعدادية مدمنين للأفلام الجنسية، كل هذا بسبب التساهل وعدم الرقابة تحت شعار الثقة، مع مراعاة تفتيش هذه الأجهزة من وراء الابن لكي لا نفقده الثقة فلا ننسى أن هدفنا التربية وليس التعرية.

الأصدقاء: بلا شك أن لأصدقاء الأبناء نصيب في التأثير على الأبناء من حيث قراراتهم، طباعهم، ألفاظهم وذلك في جميع مراحل عمره، وتظهر هذه التأثيرات بشدة من سن ١١ إلى ١٣ وهي بداية علامات المراهقة ومحاولة الاستقلال، ينتهي هذا التأثير عند بلوغ العشرين عندما تتجه اختيارات الابن لمحكات الحياة الأساسية وتنقلب الكفة مرة أخرى لصالح الوالدين والأسرة في اتخاذ القرارات والرجوع إليهم.

ولكي نعبر هذه القنطرة المليئة بالكلاليب والخطاطيف التي تحوم حول أبناءنا وإنقاذهم منها يجب أن نضع إشارات للرقابة في هذه النقطة:

- يجب تقوية العلاقة بين الأسرة وبين الابن، فالعلاقة القوية بين الطفل وأفراد أسرته يمكنها الحد من التأثير السلبي.

- معرفة أصدقائهم ومحاولة التكلم معهم وعدم التسرع بالحكم عليهم ظاهريًا.

- التحذير من السلوكيات المرفوضة بشكل إقناعي فقد أثبتت الدراسات أن الأطفال الذين تحدث معهم المعلمون أو الآباء حول التدخين وأضراره بشكل متكرر من سن التاسعة كان موقفهم من التدخين أكثر رفضًا وكانوا أكثر مقاومة لأصدقاء السوء.

- كن أنت النبع الذي يستقي منه المعلومات وبالأخص المعلومات الجنسية والمتعلقة بالبلوغ ولا تخجل من ذلك.

obeikandl.com

- العمل على عقد تجمعات للأصدقاء في البيت إن أمكن؛ فهذا يثري التعارف بين الأب وأصدقاء الابن ويقلل من جنوح الأولاد للخطر.

- إياك أن تشعر الولد أنك متسلطًا؛ فالآباء المتسلطون الذين يحاولون التحكم بكل حركة يقوم بها الأبناء، عادة ما يرغب أبناؤهم في التمرد.

- إشغاله بأعمال منزلية أو لعبة رياضية، وتوفير جو ممتع يغني عن التسكع في الطرقات.

الأقارب: وفي هذا العنصر يمكن أن نشير إلى أن الأقارب من خال أو عم أو جد أو جدة أو ما شابه ذلك من القرابات لهم تأثير في سلوكيات وقناعات الطفل؛ فعندما يزور الابن الخال أو العم في بعض الأحيان يكون وضع الزيارة غير محكوم بالضوابط الشرعية مما يجعله يتأثر بهذا الوضع، وأيضًا عندما يبيت عند جدته ويقلب في التلفاز كيفما يشاء دون رقابة أو متابعة، ويا لفرح الشيطان وذكائه في استغلال هذه المواقف في تأجيج نار التمرد عند الابن!!

obeikandl.com

فيجب على الوالدين إحكام الزيارات والمبيت عند الأقارب حتى وإن وصل الأمر إلى عدم اصطحاب الأبناء.

٣- استبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى:

إنه استبدال بيئة المسجد ومربي المسجد وتأثيره بالذي هو أدنى من تأثير وسائل الإعلام والأصدقاء... إلخ.

تلك البيئة النظيفة الطاهرة التي هي بمثابة الحماية والبديل عن التأثيرات الخارجية، والتي يجد فيها الابن القدوة عن طريق المربي الذي يزرع فيه الخير ويكون له كحادي الطريق ويجد الرفقة الصالحة والمنهج القويم الذي يستطيع أن يقاوم بكل هذه الأسلحة تيار الفساد الفكري والعقائدي والثقافي.

ولكن ثمة أشياء في بيئة المسجد صارت عوائق أمام أبناء الملتزمين في اللحوق بتلك البيئة منها:

(أ) التقليدية: فالأمر في بداية الصحوة كان ينحصر على دراسة العلم الشرعي والتحلق في الجلسات وفقط، وهذا من المؤكد أنه أتى بثماره اليانعة ولكن صلح هذا الأسلوب مع باكورة الصحوة،

أما في هذا الوقت الذي اشتدت فيه ريح الفتن والهجوم على الإسلام وانفتح العالم على بعضه هل نعتقد أن هذا الوضع التقليدي سيظل يثمر؟!

فلابد إذًا من تغيير أدوات وأساليب العمل التربوي بشكل يستوعب الواقع الذي تغير بشكل يرغب أبناء الإسلام في تعلم دينهم والبذل له.

«أعتقد أن ما يُنتظر من العمل الإسلامي من حيث العمل التربوي أوسع بكثير جدًا من هذه البدائل المحدودة جدًا، فعلى نطاق العمل الإسلامي ينبغي أن تنفتح أدوات العمل التربوي وتتجاوز الأطر المحدودة، وتستوعب الواقع الذي تغير، وبخاصة أن الأدوات التي تنشأ في ظل عصر له خصوصية وله طبيعة لا يمكن أن تستمر كثوابت»[1].

فهذه مهمة الدعاة والمربين في المساجد أن يبتكروا وأن يدركوا التطور والانفتاح الذي نعيش فيه الآن، مع مراعاة ضبط

(١) «موقع المربي» حوار الشيخ محمد الدويش مع موقع المسلم.

الأمور بالشرع فلا يتم ابتكار طريقة لجذب الشباب مخالفة للشرع ولنتذكر قول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

(ب) إهمال التربية الفردية «الدعوة الفردية»: من العيوب المطروحة الآن في آليات العمل في الصحوة هي إهمال التربية الفردية، فقد يعتمد البعض على سماع بعض النصائح في حلقة في المسجد أو حفظ بعض السور ولكن مع أهمية هذا كله يتم إهمال أكبر عنصر ألا وهو التربية الفردية؛ تلك المهمة التي يقوم بها مربي المسجد مع من يتولاهم وتنحصر مهامه في[1]:

١- القرب من المتربي بروح المودة والإخاء والإحاطة بأموره أولًا بأول.

٢- الاجتهاد في بنائه والارتقاء به.

٣- توجيهه وإعانته في حل مشكلاته الخاصة والدعوية.

(١) «دور المربي في الدعوة الفردية» الشيخ هشام عقدة ص[٥] بتصرف يسير.

٤- تقويمه من فترة لأخرى ومراقبة تطوره وتأثره وفقًا لما يبذل معه، مع مراجعة مدى تحقيق الجوانب الدالة على انتظام السير وسلامة البناء.

٥- محاسبته ومناقشته للوقوف على مدى قيامه بما يتطلب منه أو يوجه إليه مع مجازاته تبعًا لنشاطه أو تقصيره».

فالتربية أصل ضخم وأساس متين لا يتم بدونه تغيير، ولا تنجح بدونه دعوة، مع مراعاة عدم الانتقاص من الخطاب الجماعي أو الدروس العامة؛ فهي أيضًا من آليات الدعوة الهامة.

ما نعنيه أن هناك فرق بين التربية والتعليم.

«التعليم دروس ومحاضرات، أما التربية فلابد لها من أهداف، وهذه الأهداف لابد أن تكون مرتبطة بالمنهج، فعملية التربية عملية مقصودة، يعني أنك تريد أن تصل من خلالها إلى شيء... فعلى سبيل المثال كفرق بين المحاضر أو المدرس والمربي، أن المحاضر يهمه أن تكون محاضرته قوية، وبعد أن يلقيها ليس من شأنه معرفة أثرها

على فلان وفلان ومدى استجابته، وما يحتاجه بعد ذلك بخلاف المربي، هو معني بالأفراد المستمعين بأعيانهم، كيف تأثر فلان، ولِمِ لم يستجب فلان، وما المناسب فعله معه بعد ذلك؟»[1].

(١) «رسالة إلى إمام المسجد» الشيخ هشام عقدة ص[١٥٢].

obeikandl.com